حركية النقد الأدبي النسوي في العالم الغربي :

يرجع الدارسون تاريخ النقد النسوي عموما« ... في المجتمعات الثقافية الغربية إلى نهايات ستينيات القرن العشرين، لا سيما بعد أزمة ماي 1968 بفرنسا، وما اكتنفها من حركات طلابية احتجاجية، ويندرج في إطار نقدي أوسع(النقد الثقافي)، يتخذ من النص شاشة لغوية تعكس أنساقا نسوية في الوجود الثقافي، وهذا اللون من النقد ينظر إلى النص بعين الأنثى ويحلله من زاوية الرؤية النسوية » [1]، باعتبار أنه يبحث في المسكوت عنه ثقافيا في كتابات المرأة، والتاريخ الأدبي عموما.

كما أن هذا النقد لصيق بمصطلح ما بعد الحداثة المتأثرة بفلسفة التفكيك، إذ يعد كتاب **سيمون دي بوفوار** المعنون بـ:" الجنس الآخر" LE DEUXIEME SEX (1949) أولى الجهود التي خاضت الحديث عن قضايا المرأة وتاريخها، التي ترى بأنها كانت مقصية من المشهد الثقافي، ولقد ترجم كتابها هذا إلى اللغة الإنجليزية عام 1953 تحت عنوان THE SECOND SEX نظرا لأهميته الكبيرة في إعرابه عن جوهر الإشكالية النسوية في صياغة متناهية الدقة والعمق، تعتمد على نقض الحتمية البيولوجية المنقصة من قدرة المرأة على الإنتاج الفكري [2].

فقد قادت **سيمون دي بوفوار** الحركة النسوية في فرنسا، واشتهرت بمقولتها (المرأة لا تولد امرأة بل تصبح امرأة)، التي توجه عبرها أصابع الاتهام إلى المجتمع ودوره السلبي في تشكيل وضعية الأنثى والتمييز بينها وبين الذكر[3]، لذا نجدها تقر بإلحاح شديد على أن« تعريف المرأة وهويتها تنبع دائما من ارتباط المرأة بالرجل، فتصبح المرأة آخرا (موضوعا ومادة) يتسم بالسلبية، بينما يكون الرجل ذاتا سمتها الهيمنة والرفعة والأهمية » [4]، فيصبح هو الأصل، والمرأة تابعة له، مما يكرّس لمركزية الذكورة في مقابل هامشية المرأة في كافة مناحي الحياة بما فيها الأدب.

---

(1) يوسف وغليسي، خطاب التأنيث(دراسة في الشعر النسوي الجزائري ومعجم لأعلامه)، ص30.

(2) ينظر، حفناوي بعلي، مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن، ص131.

(3) ينظر، المرجع نفسه، ص132.

(4) ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي(إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا)، ص330.

صرحت **سيمون دي بوفوار** في هذا السياق أنها استمدت هذه المقولة من أفكار رفيق الدراسة **جون بول سارتر JEAN-PAUL SARTRE** الوجودية، وذلك« ... في تصورها للكائن الإنساني كونه مشروع حرية ومشروع كينونة، وطوّرته في تأكيدها على تعالي الإنسان كإنسان كلما ارتفع إلى درجة الكمال أو التكامل » [5]، فالوجودية تهتم بشيء مركزي في الإنسان هو وجود الإنسان نفسه، وكيف يمكن أن يحقق كينونته، فالوجودية تسعى إلى فلســفة رجوع الإنسان إلى ذاته(إلى أناه) لتحقيقها عن طريق الحرية.

وبناء على هذا وضعت **سيمون دي بوفوار** في كتابها "الجنس الآخر" أهم قضايا النقد النسوي المعاصر، بدءا من المرأة التي تحاول التعريف بنفسها: بإنني "امرأة" وما من رجل يفعل ذلك، إن هذه الواقعة تكشف غياب التمثل بين مصطلحي "المذكر والمؤنث"، فالرجل هو الذي يمثل الإنسان وليس المرأة، ويعود هذا الانحياز في أصله إلى العهد القديم، فبتشتّت النساء بين الرجال لم تمتلك النساء تاريخا منفصلا ولا سيادة طبيعية ... وضمت هيمنة الرجال مناخا إيديولوجيا من الإذعان: لقد قاتل المشرعون والرهبان والفلاسفة والكتاب والعلماء لكي يوضحوا أن الموقع الثاني للمرأة اختارته السماء وباركته الأرض [6]، فعلى حد تصور **سيمون** أن المساواة بين المرأة والرجل لم تحظ إلا بالولاء الشفاهي، أما متطلباتها الحقيقية فهي تقاوم في العادة من قبل السلطة الذكورية .

لهذا نجد النسوية الفرنسية تركز اهتمامها على ربط الكتابة الأنثوية بمفهوم الهوية الأنثوية والذات الأنثوية، « فمن الضروري في النسوية الفرنسية أن تكرس المرأة كتابتها لذاتها الأنثوية، فتجعل منها بؤرة ملهمة، وذلك يقتضي اختيار لغة خاصة تعتمدها في تمثيل نفسها، والاهتمام بالهوية الأنثوية وبالكتابة الأنثوية، لا يقصد منهما تركيز الاهتمام على الأنثى فحسب، إنما فضلا عن ذلك زحزحة الهيمنة الذكورية المتغلغلة في الثنائيات المتضادة السائدة: الرجل/ المرأة، العقل/العاطفة، القوة /الضعف، إذ تضفي الثقافة السائدة قيمة أعلى على الطرف الأول من تلك الثنائية وتخفض أهمية الطرف الثاني » [7]. وعليه فإن تفكيك هذه الثنائيات سيساعد المرأة الكاتبة/ الناقدة على صياغة الهوية النسوية.

---

(5) حفناوي بعلي، مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن، ص112.

(6) ينظر، رامان سيلدن، النظرية الأدبية المعاصرة، ص195.

(7) عبد الله إبراهيم، موسوعة السرد العربي، ج2، ص250.

ولقد برز الخطاب النقدي النسوي في هيئته المنظمة كرد فعل على التحقير الذي لقيه إبداع المرأة، ورغبة منه في تفعيل دورها في الإنتاجات الأدبية كتابة وقراءة، ولقد عرف النقد النسوي في بداياته مع الحركـــات المطـالبة بحقوق المـرأة وتحريـرها في العـالم الغربي، وهـذه المرة « في الولايات المتحدة الأمريكية وإنجلترا ومن أعلامه الروائية الإنجليزية **فرجينيا وولف VIRGINIA WOOLF** (1908 – 1986) » [8]، اشتـهرت هذه الأخـيرة علـى أنهـا « من رائدات هذا النقد حينما اتهمت العالم الغربي بأنه مجتمع "أبوي" منع المرأة من تحقيق طموحاتها الفنية والأدبية، إضافة إلى حرمانها اقتصاديا وثقافيا » [9]، إذ يعتـبر كتـابها الموسـوم بـ:"غرفـة فيرجينيا وولف" من أهم الكتب النقدية في ساحة النقد النسوي « والكتاب في الأصل محاضرتان ألقتهما **فرجينيا وولف** أمام طالبات نيونهام وغيرتون بجامعة كمبردج في أكتوبر عام 1928 تحت عنوان "النساء والرواية"، وتحولت المحاضرتان إلى (غرفة خاصة بالمرء وحده) » [10] .

ونظرا لأهمية الطروحات النقدية التي نافحت عنها **فيرجينيا وولف** قدمت **كاترين سمبسون KATRINA SIMPSON** دراسة لها بعنوان "غرفة وولف، بناء النقد النسوي"، ترى فيها أن **فرجينيا** ممن وظفوا الأدب لخدمة الحركة النسوية، إذ صارت المرأة تتكلم عن نفسها بدل أن يفعل ذلك الرجل، فقد أضافت زاوية جديدة وصوتا مختلفا للتقاليد الأدبية والنقدية، بحيث فتحت بابا للإبداع الأدبي والتحليل النقدي، ظل مغلقا عبر العصور، وفي كل الثقافات، وعلاقاته المبنية على قهر وظلم طرف للطرف الآخر، ومنع المرأة من تحقيق طموحاتها الفنية والأدبية [11]، بالإضافة إلى أنها تحدثت عن الظروف السيئة التي تشل قدرة المبدعات على الإبداع.

وإلى جانب هذه الأسماء النقدية، تعرف **جوليا كريستيفا** في أوساط الباحثين أنها من رواد الحركة النسوية، وقد أعدت ورقات بحثية عن "النقد الأدبي النسوي" عام 1968« أوضحت فيها المساواة بين المرأة والرجل في الصور والعلاقات والدلالات التي

---

(8) بسام قطوس، المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، ص218.

(9) ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي(إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا)، ص330/329.

(10) حفناوي بعلي، مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن، ص129.

(11) ينظر، حفناوي بعلي، مدخل في نظرية النقد النسوي وما بعد النسوية، ص136.

تتجلى في الآداب والفنون وغيرها من النظم التي تصوغ العقول ووجهات النظر، وبالتالي السلوك تجاه الآخر في المجتمع » [12]، وهي بهذا تدعم الرأي الذي ينص على أنه لا يوجد اختلاف بين كتابة النساء وكتابة الرجال، وأن التراث النسائي قد تمّ إهماله من قبل النقد الذكوري.

كما أثارت **لوسي إيريجاري LUCY IRIGARAY** برسالتها الفلسفية التي قدمتها لنيل شهادة دكتوراه دولة عام 1974 بعنوان: مرآة المرأة الأخرى SPECULUM DE L'AUTRE FEMME « عاصفة من الجدل أدّت إلى فصلها من مدرسة لاكان الفرويديةLACAN'S ECOLE FREUDIENNE للتحليل النفسي... والواقع أن العاصفة التي أثارتها **إيريجاري** برسالتها تلك كانت نتيجة لتأسيسها عملية تحرير المرأة وحصولها على حقوقها المهدرة من خلال تحدي المقولات الأساسية للفكر الفلسفي، باعتباره الخطاب الرئيسي والمصدري MASTER DISCOURSE في الثقافة الغربية » [13]، ويمكن القول أن النسوية الفرنسية التي تتناول هذه المسائل بالتحليل والنقد « ... تمثلها **لوسي إيريغاري** أهم رائدات الجيل الثاني من الحركة النسوية الفرنسية المعاصرة التي استلمت الراية من الجيل الأول بعد الحرب العالمية الثانية الذي تمثله **سيمون دي بوفوار** الذائعة الصيت، وشاغلة وملهمة أجيال الستينات والسبعينات من القرن العشرين » [14].

وليست جهود **إيلين شوالتر** بأقل من جهود سابقاتها، إذ قسمت إثر اهتمامها بالأدب النسوي النقد النسوي إلى منطقتين، الأولى ما يسمى بالنقد النسوي يهتم بالمرأة باعتبارها قارئة، ويفحص الفروض الإيديولوجية للظاهرة الأدبية والطريقة التي تغير بها الفروض القارئة في فهم النص، وأما المنطقة الثانية فهي ما يهتم بالمرأة في الأدب النسائي وتقول: إن كلا النوعين سياسي وينتمي إلى علم الاجتماع وعلم الجمال الماركسي، ولكن ليس خاضعا لسيطرتهما [15]. وبناء عليه يعتبر الواقع السياسي أحد أهم الأسباب التي فجرت النسوية أدبيا

---

(12) نبيل راغب، موسوعة النظريات الأدبية، ص661.

(13) صبري حافظ، أفق الخطاب النقدي(دراسات نظرية وقراءات تطبيقية)، ص33.

(14) مجموعة من المؤلفات، ثنائية الكينونة(النسوية والاختلاف الجنسي)، ترجمة: عدنان حسن، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 2004، ص10.

(15) ينظر، جانيت تود، دفاعا عن التاريخ الأدبي النسوي، ص59.

ونقديا، الأمر الذي حملها وعيا سياسيا واجتماعيا أعلى من شأن المرأة وساهم في بروز حركات تدعو إلى تحرير المرأة.

وفي السياق نفسه تحدد الناقدة دور نقاد الأدب النسائي، بقولها:« المهمة الأولى لنقاد الأدب النسائي يجب أن تكون إدراج الموضع الثقافي المحدد للهوية الأدبية النسائية، ووصف القوى التي تتقاطع مع المجال الثقافي للمرأة الكاتبة الفرد، كما أن نقاد الأدب النسائي أيضا يضعون المرأة الكاتبة بالنظر إلى المتغيرات الخاصة بالثقافة الأدبية مثل أساليب الإنتاج وعلاقات التوزيع للكاتب والجمهور » [16]، فالنقد النسوي مغاير للسياق النقدي الذكوري، إذ يقوم على رؤية نقدية ثقافية جمالية جديدة، يهتم بالخطاب الأدبي النسوي باعتباره خطاباً ثقافياً، جاء كنتيجة للوعي النسائي بأوضاعهن الاجتماعية والجنسية، فعمل من خلال هذا الخطاب إلى تحديد الهوية الأدبية للمرأة الكاتبة، التي هي في الأصل امتداد لهويتها الجنسية.

ولتتحقق غايات النقد النسوي الغربي، نجده يناشد المرأة بأن تكون أكثر وعيا بحيل الراجل الكاتب إذا ما تعلق الأمر بالموروث الأدبي، ويحاول أن يكشف الكيفية التي همشت المرأة عبرها ثقافيا، فمع جيل النساء الجامعيات اللاتي لم يعدن بحاجة إلى الإفصاح عن السخط الأنثوي نشأ النقد النسوي متأثرا بالتحليل النفسي لا سيما ما قدمه **جاك لاكان JACQUES LACAN** من تجديد لنظريات **سيجموند فرويد SIGMUND FREUD** ، ومنه تم استخدام أدوات التحليل النفسي لدراسة نماذج أدبية تظهر اضطهاد المرأة في المجتمع الذكوري[17]، فقد استفاد عدد كبير من الناقدات الفرنسيات، من الطروحات التي قدمها **جاك لاكان**، بوصفها قراءة جديدة لتصورات فرويد ولكن بشروط نسوية.

كما يرى هذا النقد أنه من الواجب بما كان التطرق إلى موضوعات المرأة وفق الشاكلة التي تتيح لنا بيان التجربة الأنثوية وتعريف الناس بها، والمرأة نفسها هي الأقدر على الحديث في هذه الموضوعات الخاصة، إذ تكابد وحدها تجارب الحياة الأنثوية النوعية وشؤونها الجنسية بكل دقائقها وتفاصيلها الفكرية والانفعالية الخاصة بها، وهذا مالا يقوى

---

(16) جانيت تود، دفاعا عن التاريخ الأدبي النسوي، ص62.

(17) ينظر، إبراهيم محمود خليل، النقد الأدبي الحديث(من المحاكاة إلى التفكيك)، دار المسيرة للطباعة والنشر، الأردن، ط4، 2011، ص135.

عليه الرجل، ولأجل هذا يستلزم قراءة هذا الأدب قراءة نسوية تدرس التمثيل الأدبي لتلك الاختلافات في كتابة المرأة، ويكون بمقدورها تمييز الجوانب التي لم يكن الناقد معنيا بها، أو بملاحظتها أصلا، على أن تكون قراءة متحررة من تحكم الرجل في الخطاب، ومتحررة من الضعف والتردد والتركيز على المبتذل والتافه، وهي سمات الخطاب النسائي السائد كما جاء لدى **روبين لاكوفROBIN LAKOFF** ، وتُعرف من تقرأ الأعمال الأدبية وفق هذه القراءة باسم "ناقدة الخصائص النسوية"[18].

يبدو من خلال هذا الطرح أن الناقدة تدرك جيدا أن إثبات خصوصية ما تكتبه المرأة يتطلب قراءة قادرة على تمييز الجوانب التي لم يكن الناقد معنياً أصلاً بملاحظتها، لذا لابد من أن تعاد قراءة هذا الأدب قراءة نسوية متحررة من تحكم الرجال في الخطاب.

يمكن القول بأن الفكر النقدي النسوي تطور من مرحلة المطالبة بالمساواة « ... إلى مرحلة أكثر نضوجا نحو تأسيس مبدأ الهوية الأنثوية في قراءة النصوص، والنزوع نحو إقرار الاختلاف الجنسي كمبدأ تفسيري في النقد النصي والنظرية الأدبية، وكإطار نقدي لأجل تحليل البنى الاجتماعية والسياسية والتشكيلات الثقافية، وفر أرضية مفاهيمية خصبة يمكن الانطلاق منها لمساءلة النزعة العالمية الشمولية التي تدعيها المعارف البطريركية والمركزية القضيبية باعتبار مبدأ الاختلاف الجنسي، أساس جديد ومبتكر في الفكر النقدي المعاصر ضد المنطق الأحادي الذي يختزل الآخر في نسخة باهتة »[19]، فالنقد النسوي طرح بشكل استفزازي كل المسائل المتعلقة بالمرأة في مجال الإبداع، وقد عمد من أجل تحقيق مآربه إلى الاستفادة من النقد الثقافي، وتيارات ما بعد الحداثة، والدراسات الكولونيالية وما بعد الكولونيالية.

---

(18) ينظر، رامان سيلدن، النظرية الأدبية المعاصرة، ص196.

(19) حفناوي بعلي، مدخل في نظرية النقد النسوي وما بعد النسوية، ص108/107.